الإسلامية بذكر علماء الكرد الذين باشروا وظيفة التدريس والإعادة في المدارس بمصر والشام أبان عهد المماليك البحرية، وغصت المدارس المملوكية بالعديد من أولئك العلماء الذين كانوا طوال الباع في العلوم النقلية والعقلية التي أهلتهم للقيام بالتدريس في دور العلم وتخرجت على أيديهم الطلبة.

ويعدّ القاضي بدر الدين بن خلكان من أوائل مدرسي الكرد في العهد المملوكي ببلاد الشام، اشتهر بقاضي تل باشر، تولى تدريس المدرسة الأسدية التي أنشأها القائد أسد الدين شيركوه بحلب وهي من المدارس الشافعية، ابتداءً بالتدريس فيها منذ سنة ٦٥٣هـ /١٢٥٥م، ولم يزل بها إلى واقعة المغول بحلب[١]، حيث خرج منها وتوجه إلى مصر وتوفي فيها سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م[٢]، وذكر انه درّس كذلك بالمدرسة الاقبالية[٣] وذلك قبيل توجههم إلى مصر[٤]. بمعنى أنه واظب في التدريس مدة خمس سنين ومن مدارس حلب التي درس فيها علماء الكرد المدرسة الرواحية[٥]، إذ تعاقب عليها مدرسون من الكرد منهم عماد الدين أبو بكر بن محمد بن الحسين الكوراني الذي اصبح مدرساً فيها منذ سنة ٦٥٦هـ /١٢٥٨م إلى أن قتل في وقعة المغول بحلب ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[٦].

ومن علماء الكرد الذين درسوا في المدارس الحنفية بحلب الفقيه علي بن إبراهيم بن خشنام أبو الحسن الحميدي الكردي الذي درس بالمدرسة الجاولية وفي المدرسة الجمالية التي أنشأها جمال الدولة إقبال الظاهري بحلب[٧]، واستمر على ذلك إلى أن اعدمه المغول في في حلب سنة ٦٥٨هـ /١٢٦٠م وكان من كبار الحنفية [٨].

---

[١] واقعة المغول بحلب حدثت سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م عندما حاصر المغول المدينة سبعة أيام ثم دخلوها بأمان إلاّ أنهم غدروا بأهلها وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ينظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ص١٦٣-١٦٤.

[٢] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص ص١٠٣-١٠٤، الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٦١-٦٧٠هـ)، ص٢٣١.

[٣] المدرسة الإقبالية تقع بين باب الفرج وباب الفراديس بدمشق أنشأها جمال الدولة إقبال عشيق ست الشام توفي سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، النعيمي، الدارس، ج١، ص ص١١٨-١١٩.

[٤] النعيمي، م.ن، ج١، ص١٢٠.

[٥] المدرسة الرواحية، أنشأها التاجر أبو القاسم هبة الله المعروف بأبن رواحة المتوفي سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م بحلب وإنشاء مدرسة أخرى مماثلة بدمشق، أبن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٨٨.

[٦] ابن شداد، مصدر سابق، ج١، ق١، ص ص١٠٤-١٠٥.

[٧] م. ن.، ج١، ق١، ص ص١١٧-١٢٠.

[٨] الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ووفيات (٦٥١-٦٦٠)، ص٣٥٠.

نستشف مما سبق، أن مدينة حلب في بداية العهد المملوكي كانت تعج بعلماء الكرد الذين راح بعضهم صحية الغزو المغولي الذي سبب في حدوث حالة من التراجع الحصاري والانكماش العلمي.

كان الفقيه الشمس الكردي الأعرج يعدّ من فضلاء الشافعية، الظاهر أنه كان يدرس في مدرسة الكلاسة[1] والمدرسة الصالحية[2] في حدود سنة ٦٥٨هـ /١٢٦٠م لكن انتزع منه المدرستان وتوفي في سنة ٦٦٠هـ /١٢٦٢م[3].

أما في مصر فكانت أسرة الماراني الكردية من أشهر الأسر العلمية في العهد الأيوبي واحتفظ بعض علماء تلك الأسرة بشهرتهم العلمية في العهد المملوكي في نحو القاضي كمال الدين بن عبد الملك الماراني الشافعي الضرير، الذي درس مدة بالمدرسة السيفية[4] في القاهرة ومارس الإفتاء، توفي سنة ٦٥٩هـ /١٢٦١م[5].

كان القاضي كمال الدين السنجاري من العلماء الذين برزوا في بلاد الشام وهو ابن القاضي عز الدين السنجاري المتوفى في سنة ٦٤٦هـ /١٢٤٨م الذي كان مدرساً بالمدرسة الخاتونية[6] وبعد وفاته تولى ابنه القاضي كمال الدين التدريس في المدرسة المذكورة إلى حين استيلاء المغول على دمشق سنة ٦٥٨هـ /١٢٦٠م، حيث انقطع اثر ذلك مدة ثم عاد

---

(١) مدرسة الكلاسة من مدارس الشافعية بمحاذاة الجامع الأموي في دمشق عمرها السلطان نور الدين زنكي سنة ٥٥٥هـ /١١٦٠م، وسميت بهذا الأسم لأنها كانت موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع، جدد عمارتها السلطان صلاح الدين الأيوبي " النعيمي، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٤٠-٣٤٣، ويذكر أنه هدم غالب الكلاسية في زلزلة سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٤م. والظاهر أنها أعيدت بنائها بعد ذلك " السيوطي، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة (المدينة المنورة: ١٤٠٤هـ)، ص ١١١..

(٢) المدرسة الصالحية من مدارس الشافعية تقع غربي الطيبية والجوهرية بدمشق أنشأها الصالح أبو الجيش الأيوبي المتوفي ٦٤٨هـ/١٢٥٠م " النعيمي، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٣٩-٢٤٦.

(٣) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص٢٠٥، ٢١٨ " الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٥١-٦٦٠هـ)، ص٤٢٦، هذا وعد النعيمي الشمس الكردي من مدرسي المدرسة الصلاحية بدمشق بدلاً من الصالحية والراجح انه تصحيف والتباس، ينظر الدارس، ج١، ص٢٥٢.

(٤) المدرسة السيفية، ينظر الفصل الأول، ص (٥٣) من هذه الأطروحة.

(٥) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص١٣٤ " الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٣٩٧ " الصفدي نكت الهميان في نكت العميان، (القاهرة :١٩١١م)، ص٢٦٣.

(٦) المدرسة الخاتونية الجوانية من المدارس الحنفية تقع بمحلة حجر الذهبي بدمشق أنشأتها خاتون بنت معين الدين أند زوجة السلطان نور الدين زنكي وبعده زوجة السلطان صلاح الدين الأيوبي، توفيت سنة ٥٨١هـ /١١٨٥م " النعيمي، الدارس، ج١، ص٣٨٨.

إلى التدريس فيها إلى سنة ٦٥٩هـ /١٢٧١م[١] حين توجه مع الخليفة المستنصر العباسي [٢]إلى بغداد وقتل بالقرب منها على أيدي المغول والذي يحسن ذكره أنه كان مدرساً بالمدرسة الصادرية[٣] بدمشق[٤] أيضاً، لذا يعدّ القاضي كمال الدين السنجاري من المدرسين الذين درسوا في المدارس أواخر العهد الأيوبي واستمر في ذلك بعد ظهور الدولة المملوكية، مما يدل بجلاء على تواصل الحياة العلمية في مسلكها الحضاري على الرغم من التغيرات السياسية والاضطرابات الإدارية.

وعندما تولى القاضي شمس الدين ابن خلكان قضاء قضاة الشام في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م فوض إليه - إلى جانب ذلك - نظر الأوقاف ووظيفة التدريس في المدارس العادلية والعذراوية والناصرية والفلكية[٥] والركنية[٦] والإقبالية والبهنسية[٧] وتولى القاضي أبن خلكان التدريس في تلك المدارس في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة[٨]، وفي سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م نزل القاضي ابن خلكان عن تدريس المدرسة الركنية للشيخ أبو شامة

---

[١] النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٩٣.

[٢] المستنصر بالله أبو القاسم العباسي أول خلفاء بني العباس بمصر بعد إحياء الخلافة فيها، بويع سنة ٦٥٩هـ /١٢٦١م وقتل بأيدي المغول في السنة نفسها عندما حاول توسيع نفوذ الخلافة إلى العراق، وكان وزيره كمال الدين السنجاري، ينظر الذهبي، مصدر سابق، ص ص٧٥-٧٦ " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ص١٧٣-١٧٤.

[٣] المدرسة الصادرية من المدارس الحنفية تقع بداخل باب البريد بدمشق أنشأها شجاع الدولة صادر بن عبدالله سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م ويقال أنها أول مدرسة أنشأت بدمشق " النعيمي، مصدر سابق، ج١، ص ص٤١٣-٤١٤، ابن كنان، المواكب الإسلامية، تحقيق ودراسة حكمت إسماعيل، (دمشق : ١٩٩٢م)، ق١، ص٣٤٥.

[٤] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٥٠٠ " الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص٢٦٨.

[٥] المدرسة الفلكية، من المدارس الشافعية تقع بين باب الفراديس والفرج بدمشق أنشأها فلك الدين سليمان أخو الملك العادل لامه، توفي ٥٩٩هـ/١٢٠٣م " النعيمي، الدارس، ج١، ص ص٣٢٧-٣٢٩.

[٦] المدرسة الركنية من المدارس الشافعية تقع بسفح قاسيون بالصالحية في منتصف حي الأكراد بدمشق أنشأها الأمير ركن الدين منكورسى المتوفي سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م ووقف عليها أوقافاً " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٠٧ " أبن كنان، المواكب الاسلامية، ق١، ص٢٨٧، هامش رقم (١).

[٧] المدرسة البهنسية من المدارس الشافعية تقع بسفح قاسيون بدمشق انشأها الوزير ابو الاشبال المعروف بالمجد البهنسي المتوفي سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م وهو كان وزيراً للملك الأشرف الأيوبي " النعيمي، م. ن، ج١، ص١٦٢.

[٨] أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢١٥ " الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٥١-٦٦٠هـ)، ص٧٥.

(ت ٦٦٥هـ /١٢٦٧م)[١]، واستمر على التدريس في بعض تلك المدارس مدة عشر سنين ذكر الدروس فيها بنفسه وتارة نوابه [٢].

على الرغم من أن قاضي القضاة بدر الدين السنجاري شغل وظائف عدة في الدولة المملوكية ولكنه لم يصرفه هذا عن القيام بالتدريس الذي يعدّ من أجل ما يقوم به العلماء، إذ درس بالمدرسة الصالحية النجمية[٣] بمصر مدة وكان يتنقل في المناصب إلى أن توفي سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٤م[٤]. وكان القاضي صدر الدين بن موهوب الجزري من المدرسين بمصر أيضاً، وصف بأنه من فضلاء زمانه وبرع في الفقه والمذهب ودرس وأفتى، تخرج على يده جماعة[٥] ودرس في المدرسة الفائزية[٦] مدة وتوفي سنة ٦٦٥هـ/١٣٦٦م[٧].

وفي قرابة سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م جرت تعيينات جديدة في مدارس دمشق فعين رشيد الدين الفارقي في تدريس المدرسة الناصرية والعز عمر الأربلي في تدريس المدرسة الجاروخية[٨] وذلك بأمر السلطات المملوكية [٩].

أما مهمة الإعادة فقد كانت وظيفة علمية مارسها جمع من العلماء منهم الفقيه كمال الدين سلار الأربلي، الذي كان من مشاهير الأئمة الفضلاء في المذهب الشافعي، جعله الشيخ نجم الدين البادرائي معيداً بمدرسته البادرائية التي أنشأها بدمشق سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، وذلك لتيقنه بغزارة علم الاربلي. وواظب على ذلك ولم يتزيد منصبا آخر إلى حين

---

[١] العيني، عقد الجمان، ج١، ص٣٣٥.

[٢] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص١٥٠، من نواب القاضي ابن خلكان في تدريس الإقبالية والفلكية والركنية الإمام محي الدين النووي المتوفي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م " الكتيي، مصدر سابق، ج٢١، ص١٦١ " ابن كثير، مصدر سابق، ج١٣، ص٢١١ " السحاوي، المنهل العذب الروي، ص٨٩٦.

[٣] ينظر عنها الفصل الأول.

[٤] اليونيني، م.ن، ج٢، ص٣٣٥ " الذهبي، حوادث ووفيات (٦٦١-٦٧٠هـ)، ص١٦٣.

[٥] الذهبي، م.ن، ص٢٠٨.

[٦] المدرسة الفائزية : أنشأها شرف الدين الفائزي بمصر قبل وزارته في سنة ٦٣٧هـ/١٢٤٣م، ابن دقماق، الانتصار، ق١، ص٩٢.

[٧] م.ن، س. ص.

[٨] المدرسة الجاروخية : من المدارس الشافعية تقع شمالي الجامع الأموي داخل باب الفرج والفراديس والفراديس بدمشق بناها الأمير سيف الدين جاروخ التركماني سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م " والنعيمي، الدارس، ج١، ص١٦٩ وابن كنان، المواكب الإسلامية، ق١، ص٣٣٥، هامش رقم (٤).

[٩] الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٦١-٦٧٠)، ص٥٩.

وفاته سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م، حيث درس عنده جمع من طلاب العلم وانتفعوا بعلمه منهم الشيخ محي الدين النووي[١]، وبعد وفاة الفقيه كمال الدين جلس مجلسه في إعادة البادرائية عز الدين عمر بن سعيد الأربلي الذي وكما أشرنا سابقاً ناب في قضاء الشام عن ابن الصائغ مدة ثم درس واشتغل وكان ديناً فاضلاً ورعاً، توفي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م[٢].

نستنتج من سيرة المعيدين الاربيليين -اللذين أعادا تباعاً في المدرسة البادرائية إلى وفاتهما - من أن وظيفة الإعادة كانت يباشرها في بعض المدارس علماء أفذاذ ممن عدهم المؤرخون القدامى من كبار الفقهاء، وعلى الرغم من تحري البحث في المصادر الأصلية وتتبع ذكر المدارس والمدرسين فيها لم يقف على أسماء مدرسين درسوا في تلك الحقبة في المدرسة البادرائية،مما يعيننا على القول بان كلاً من الفقيهين كمال الدين وعز الدين الاربليين قاموا بوظيفة التدريس الأصلية في المدرسة والذي يدعم هذا الرأي هو أن المؤرخ النعيمي في سفره (الدارس في تاريخ المدارس) ذكرهما على أنهما تدريسيين درسا تباعاً في المدرسة البادرائية[٣] لذا يجب أن ننوه - هنا - بأن لفظة المعيد لم تكن أحياً إلاّ مجرد لقب لقب تدريسي يعطى لبعض العلماء ممن درسوا في المدارس حتى لو لم يكن فقيهاً مدرساً فيها.

لذلك نجد أن المؤرخ السبكي يذكر أن المعيد عليه العمل لتفهيم الطلبة ونفعهم، وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة وإلاّ فهو والفقيه على سواء[٤].

أن المدرسة القيمرية التي أنشأها الأمير الكردي ناصر الدين القيمري المتوفى سنة (٦٦٥هـ /١٢٦٦م) في دمشق تعدّ من المدارس المشهورة أو التي فوض تدريسها إلى القاضي شمس الدين بن علي الشهرزوري الكردي وإلى أولي الأهلية من ذريته من بعده بشرط الواقف، فدرس فيها القاضي شمس الدين إلى أن توفي سنة ٦٧٥هـ /١٢٧٦م، وكان عارفاً

---

[١] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٧١، ج٢، ص ص٤٧٨-٤٧٩ " الذهبي، العبر، ج٣، ص٣٢١ " الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٥٥ " الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص٤٢٤، ابن الملقن، العقد المذهب، ص١٦٦ " محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، مج٤، ص ٢٢.

[٢] أبن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٤٧٣ " النعيمي، مصدر سابق، ج١، ص١٥٦ " اليونيني، ن. م، ج١٣، ص١٩٣ " أبن الجزري، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص٢٩١.

[٣] ينظر، الدارس، ص١٥٦.

[٤] معيد النعم ومبيد النقم، (بيروت :١٩٨٦)، ص٨٥.

بمذهب الشافعي فقيهاً جيداً[1]، الظاهر أن أبنه الشيخ صلاح الدين الشهرزوري تأهل للتدريس قبل وفاة والده، إذ تولى بعد وفاته حسب شرط الواقف تدريس المدرسة القيمرية، إلى حين وفاته سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م وكان شاباً حسناً كريم الأخلاق[2]، وهذا يدل على أن المدرسة كانت أهلية وكان تدريسها حكراً على القاضي الشهرزوري وذريته بشرط الأهلية العلمية، إذ درس هو وأبنه في المدرسة تباعاً منذ بداية العصر المملوكي والى وفاة الشيخ صلاح الدين، يبدو ان تدريس المدرسة بعد ذلك نقل إلى علماء آخرين لعدم وجود فقهاء مؤهلين للتدريس من ذرية الشهرزوري إلى بداية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي.

ومن أسرة درباس الماراني الكردي ذاع صيت الشيخ حسين بن إسماعيل ناصر الدين الماراني الذي كان إماماً أديباً، تولى تدريس مدرسة سيف الإسلام (المدرسة السيفية) التي بالبندقانيين بالقاهرة إلى أن توفي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م. وكان الشيخ ناصر الدين متصفاً بالفضيلة ومكارم الأخلاق وحسن المحاضرة[3]. ويفهم من حديث المقريزي بشأن المدرسة السيفية أن أول من ولى التدريس في تلك المدرسة هو الشيخ عماد الدين الماراني[4] والد الشيخ ناصر الدين المتوفى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م[5]، أي أن لأحد أفراد تلك الأسرة تقليد وسابقة تدريسية في المدرسة المذكورة.

---

(١) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص ص١٩٢-١٩٣ " ابن الجزري، المختار من تاريخ أبن الجزري، ص٢٨٣ " الذهبي، الإعلام بوفيات الأعلام، ج٢، ص٤٥٨ " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٠٦، العيني، عقد الجمان، ج٢، ص١٧٠.

(٢) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص ١٧٥ " الكتبي، عيون التواريخ، ج٢١، ص ٣١٤ " النعيمي، الدارس، ص ٣٣٧.

(٣) اليونيني، م.ن، ج٣، ص٢٦٤ " الذهبي، الإعلام بوفيات الأعلام، ص ص٢٢٠-٢٢١" الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٤٠٤-٤٠٥ " ابن تغري، المنهل الصافي، ج٥، ص٦٩.

(٤) الخطط، ج٢، ص ٣٦٨.

(٥) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، مج٥، ص ص٣١٢-٣١٣.

ومن علماء الكرد الذين اشتهروا بالتدريس بمدارس الشام الفقيه مجد الدين الكردي الشافعي الذي درس بالمدرسة الصلاحية [1] مدة ثم درس بالكلاسة بدمشق وكان حسن السمت والأخلاق ويعد من فضلاء عصره، توفي سنة ٦٧٧هـ /١٢٧٨م[2]. وبعد وفاته تولى تدريس الكلاسة أكبر أبنائه وهو عفيف الدين الزرزاري مدة الذي كان صالحاً زاهداً[3].

كما ويعد الشيخ مجد الدين ابن الظهير الأربلي الحنفي الذي كان معاصراً للفقيه مجد الدين الكردي من مشاهير أدباء المدرسين في الشام تولى تدريس المدرسة القيمازية[4] بدمشق مدة سنين وكان من أعيان شيوخ الأدب توفي سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م[5]. وصفه المؤرخ اليونيني بأنه ((كان وافر الديانة، كريم الأخلاق، واسع الصدر، محتملاً للأذى، يتصدق دائماً يحسن إلى معارفه وتلامذته..))[6].

كان القاضي أبن خلكان الأربلي من العلماء الذين جمعوا بين وظيفتي القضاء والتدريس فضلاً عن نظر الأوقاف، فبعد أن عزل عن قضاء الشام سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م توجه إلى الديار المصرية فمكث بها سبع سنين باشر في بعضها وظيفة التدريس بمدرسة فخر الدين عثمان[7] ثم ولى قضاء الشام مرة أخرى[8].

---

(١) النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٥٢.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٧١-٦٨٠)، ص ص٢٦٩-٢٧٠ " الكتبي، عيون التواريخ، ج٢١، ص١٨٣ " الأسنوي، طبقات الشافعية، ج١، ص١٥٤، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٥٨.

(٣) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص١٧٢١ " ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٨٧.

(٤) المدرسة القيمازية، من المدارس الحنفية تقع داخل بابي النصر والفرج بدمشق انشأها الامير صارم الدين قايماز النجمي المتوفي سنة (٥٩٦هـ/١٢٠٠م) " النعيمي، مصدر سابق، ج١، ص٤٣٩.

(٥) الذهبي، معجم الشيوخ (المعجم الكبير)، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة (الطائف :١٩٨٨)، ج١، ص١٥٢، العبر، ج٣، ص٣٣٦ " الكتبي، فوات الوفيات، ج٣، ص٣٠١ " العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٢٠٩ " ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٨٣.

(٦) ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص٣٨٦.

(٧) أي المدرسة الفخرية التي كانت تقع بين سويقة الصاحب ودرب العداس بالقاهرة بناها الامير فخر فخر الدين أبو الفتح عثمان ابن قزل استادار الملك الكامل سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٦٧ " النعيمي، الدارس، ج١، ص٤٢٧.

(٨) اليونيني، مصدر سابق، ج٤، ص ص١٥٠-١٥١.

ذكر بأنه فتحت المدرسة النجيبة في سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م[١] ودرس بها القاضي شمس الدين أبن خلكان مدة يسيرة ثم تنازل عنها لولده كمال الدين موسى[٢]. الذي درس بها هو في حياة والده وبعده مدة[٣] وبعد ذلك وفي سنة ٦٨١هـ فوض التدريس بالمدرسة الأمينية[٤] بدمشق إلى القاضي أبن خلكان[٥] الذي درس بها مدة ثم انتزعت منه ثم أعيدت إليه وكتب له بها تقليد[٦]. والظاهر أن المدرسة النجيبية في سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م بقيت بأيدي أبن خلكان[٧] إذ أجمع غالبية المؤرخين[٨] على أن القاضي ابن خلكان ظل يدرس في المدرستين الأمينية والنجيبية إلى أن وافته المنية في أواخر رجب سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م[٩]. ومما يجلب الانتباه في سيرة القاضي أبن خلكان أنه فضلاً عن كونه قاضياً مشهوراً مشكور السيرة كان مدرساً نشطاً في المدارس تولى التدريس في عشرة مدارس ببلاد الشام ومضر، وبهذا ينفرد بين علماء عصره بغزارته العلمية وفعالية قدرته التدريسية وتنويع معارفه، إذ يذكر المؤرخ ابن كثير أن أبن خلكان درس في عدة مدارس لم تجتمع لغيره[١٠] مما أهله لأن يكون اكثر شهرة في التدريس، الذي عن طريقه،تمكن من ترك بصماته على ثقافة عصره.

---

[١] المدرسة النجيبية، من المدارس الشافعية تقع إلى شمال المدرسة النورية بدمشق أنشأها الأمير جمال الدين آقوش النجيبي (٦٧٧هـ/١٢٧٨م) " النعيمي، م. ن، ج١، ص٣٥٨.

[٢] الكتبي، عيون التواريخ، ج٢١، ص١٧٣ " العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٢٠٠.

[٣] الصفدي، مصدر سابق، ج٤، ص ٢١٠٠ " أبن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص ١٤٣.

[٤] المدرسة الأمينية : من المدارس الشافعية تقع قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي المسمى قديماً بباب الساعات بدمشق، وقفها الأتابك أمين الدين كمشتكين بن عبدالله الطغتكين المتوفي سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م " النعيمي، م.ن، ج١، ص ص ١٣٢-١٣٣.

[٥] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص ١٤٢ " الكتبي، عيون التواريخ، ج٢١، ص ٣٠٤ " النعيمي، الدارس، ج١، ص ١٤٣.

[٦] ينظر، نص التقليد في الملاحق.

[٧] ينظر : ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق في المحاضرات نشر بهامش كتاب (المستطرف في كل من مستظرف) للأبشيهي (القاهرة : ١٩٥٢)، ج١، ص٥٣.

[٨] انفرد المؤرخ ابن كثير بقوله أنه لم يبق مع أبن خلكان من المدارس في آخر وقت سوى الأمينية، ينظر: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٢٧.

[٩] ينظر، الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص١١١ " الأسنوى، طبقات الشافعية، ج١، ص٤٩٧، ابن ابن الملقن، العقد المذهب، ص١٧١ " أبن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٢٣، النعيمي، مصدر سابق، ج١، ص١٤٤ " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٧١.

[١٠] البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٢٧.

وكان القاضي برهان الدين السنجاري شأنه شأن القاضي ابن خلكان قضى سنوات من حياته العلمية في التدريس ببعض المدارس في مصر فمنذ إنشاء المدرسة المعزية بمصر في سنة ٦٥٤هـ /١٢٥٦م كان أول من درس بها هو القاضي برهان الدين السنجاري إلى أن توفي سنة ٦٨٦هـ /١٢٨٧م[١]. ويتبين مما ورد في بعض المصادر أنه كان يدرس أيضاً بمدرسة أخيه القاضي بدر الدين السنجاري بالقرافة بمصر، إذ أنه بعد أن عزله عن الوزارة بمصر في سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م لزم مدرسة أخيه بالقرافة وكان يدرس بها[٢].

ومن الجدير بالإشارة أن أبنه شمس الدين باشر تدريس المدرسة المعروفة بزين النجار بالقاهرة قبيل عزل والده واعتقالهما في السنة المذكورة[٣]. ويذكرأن القاضي برهان الدين علاوة على ذلك فوض إليه في سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م التدريس والنظر بمدرسة الإمام الشافعي بالقرافة الصغرى وقطع له راتب شهري قدره أربعون ديناراً على التدريس فيها[٤]. وعندما أعيد إلى وظيفة القضاء بالديار المصرية سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م، مع احتفاظه بالتدريس في المدارس المذكورة فوض إليه تدريس المدرسة المنصورية القطبية، كذلك[٥] وباشرها مدة أربعة وعشرين يوماً[٦].

نخلص مما ذكر آنفاً ان القاضي برهان الدين درس مدة اثنتين وثلاثين سنة في المدرسة المعزية فضلاً عن انه درس لسنوات عدة في مدرسة بدر الدين السنجاري والمدرسة الشافعية بالقرافة، وهي من المدارس التي كانت ذات مكانة علمية مرموقة في مصر.

وكان الشيخ رشيد الدين الفارقي من العلماء الذين تنوعت اهتماماتهم ومهاراتهم العلمية، إذ كان فقيهاً وعارفاً بالأصولين والنحو والمعاني والشعر وغير ذلك، وتولى في سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م تدريس المدرسة الناصرية بدمشق[٧]. لمدة ثم استلم في سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م

---

[١] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٦٠ " أبن دقماق، الانتصار، ق١، ص ص٩٢-٩٣ " ابن تغري بردى، المنهل الصافي، ج٥، ص٢٢٣.

[٢] اليونيني، م. ن، ج٤، ص١٠ " المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٢٤.

[٣] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص ص١٩٤-١٩٥ " المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٨١.

[٤] اليونيني، م. ن، ج٤، ص١٨٠ " المقريزي، م.ن، ج٢، ص١٧٢.

[٥] المدرسة المنصورية كانت تقع داخل باب المارستان الكبير المنصورى بخط بين القصرين بالقاهرة أنشأها الملك المنصور قلاوون الألفي لطوائف الفقهاء الأربعة وكان التدريس فيها لا يليه إلاّ أجل الفقهاء المعتبرين " المقريزي، الخطط، ج٢، ص ص٣٧٩-٣٨٠.

[٦] اليونيني، مصدر سابق، ج٤، ص٣٢٠.

[٧] الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٦١-٦٧٠)، ص٥٩ " والنعيمي، الدارس، ج١، ص٣٥١.

تـدريس الفقـه الشـافعي بالمدرسـة الظاهريـة[1] ولم تكتمـل بعـد عمارتهـا[2]. واسـتمر في التدريس إلى أن خنق في المدرسة المذكورة وأخذ ماله سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م[3]. والـذي يتبـادر إلى الذهن انـه لم يبـق تـدريس المدرسـتين معـاً بايـدي الفـارقي إلى حـين وفاتـه بـل درس بالمدرسة الناصرية إلى أن تولى تـدريس الظاهريـة لأنـه ذكـر بأنـه درس لفـترة في المدرسـة الناصرية ومـن ثـم باشـر تـدريس المدرسـة الظاهريـة أي أنـه واظـب علـى التـدريس لمـدة عشرين سنة.

ومن علماء ميافارقين الـذين اشـتهروا بـبلاد الشام الشـيخ زيـن الـدين الفـارقي، الـذي باشر وظيفة التـدريس لسـنوات عـدة، حيـث تـولى في البدايـة تـدريس المدرسـة الناصـرية ولكـن انتزعـت منـه في سـنة ٦٩٠هـ/١٢٩٠م ولكـن أعيـد إليهـا تدريسـها في السـنة عينهـا[4] وواظب على ذلك إلى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، إذ باشر فيها تدريس الشامية البرانية وعـزل عـن تـدريس المدرسـة الناصـرية [5]، ولكـن جـاء تقليـد إلى دمشـق مـن الـديار المصـرية في سـنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م بتفويض تدريس المدرسة الناصرية للشيخ زين الدين الفارقي[6]. والظاهر أن أن الشيخ كمال ابن الشريشي[7] تمكن في سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م من الحصول على تقليد بتوليـه المدرسة الناصرية عوضاً عن الشامية البرانية ودرس بها و يبـدو أنـه لم يحضـر أحـداً مـن القضاة مراعاة للشيخ زين الدين الفـارقي[8]ولكـن أعيـدت الشـامية البرانيـة مـع الناصـرية

---

[1] المدرسة الظاهرية الجوانية من المدارس الشافعية تقع شمالي باب البريد بين باب الفرج والفـراديس بدمشق وضعها الملك الظاهر بيبرس المتـوفي سـنة ٦٧٦هــ/١٢٧٨م وأكملـها السـلطان الملـك المنصور قلاوون، النعيمي، م.ن، ج١، ص ص٢٦٣-٢٦٤.

[2] اليونيني، مصدر سابق، ج٣، ص٢٩٤ " وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢١١.

[3] الذهبي، العبر، ج٣، ص٣٧٠، الكتبي، عيون التواريخ (٦٨٨-٦٩٩)، ص٤٨ " اليافعي، مـرآة الجنان، ج٤، ص١٥٧ " العيني، عقـد الجمـان، ج٣، ص٤١ " السـيوطي، بغيـة الوعـاة، ج٢، ص٢١٦.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ص٢٤٣-٢٤٦ " النعيمي، الدارس، ج١، ص٣٥١.

[5] ابن كثير، م.ن، ج١٣، ص٢٥٦.

[6] الكتبي، عيون التواريخ (٦٨٨-٦٩٩هـ)، ص١٧٩.

[7] كمال الدين ابن الشريشي ابن الشيخ جمال الدين من مشاهير العلماء تولى بـبلاد الشـام وظـائف عدة كوكالة بيت المال وشيخ دار الحديث ونيابة القضاء والتدريس ببعض المدارس " ابن العمـاد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٤٧.

[8] الكتبي، مصدر سابق، ص ص٢٢٦-٢٢٧.